الاستيطان البشرى بإقليم تريبوليتانيا خلال عصور ما قبل التاريخ

تتناول هذه الورقة مرحلة مهمة من تاريخ تريبوليتانيا تمثلت في عصور ما قبل التاريخ، وتدرس أهم المراحل التي مرت بها، إلى جانب التعرف على المواقع التي تمثلها في الإقليم.

وتهدف الورقة إلى الكشف عن طبيعة المناخ الذى كان سائداً في تلك المراحل، وأنواع الحيوانات التي عاشت فيها، وأنواع الأدوات الحجرية التي استخدامها السكان في تلك المراحل، كما تهدف إلى التعرف على النقوش والرسوم التي نفذها فنانو تلك المراحل والغرض منها.

وكان من أهم أسباب اختيار الموضوع هو محاولة تتبع تلك المرحلة المهمة من تاريخ تريبوليتانيا للتأكيد على أهمية الدور الحضاري للعنصر السكاني المحلي واستمراره خلال العصور التاريخية التالية.

وتقوم الورقة على عدة تساؤلات منها ما المراحل التي مرت بها عصور ما قبل التاريخ؟ وماهى المراحل التي مرت بها النقوش والرسوم الصخرية؟ وماهو الغرض من النقوش والرسوم الصخرية؟

ويمكن طرح الفرضية التالية وهى إلى أي درجة تمثلت عصور ما قبل التاريخ في تريبوليتانيا.

مقدمة:

كانت الصحراء الكبرى التي تُعرف اليوم بأنها من أشد بقاع العالم تتمتع بُمناخ دافئ وممطر جعلها تعج بالحياة النباتية والحيوانية خلال فترة عصر البلويستوسين[(١)]، فكانت أوديتها الجافة اليوم أنهاراً دائمة الجريان ومنخفضاتها بركاً ومستنقعات وبحيرات، وهذا ما تؤكده الرسوم الصخرية المكتشفة في أنحاء متفرقة من الصحراء الكبرى والمنتشرة في المنطقة الواقعة ما بين دائرتي عرض ١٨ – ٢٨ شمالاً[(٢)]، وتمثل رسوماً ونقوشاً لحيوانات ضخمة تدل على المناخ الممطر السائد في المنطقة خلال تلك الفترة، كما أن الأنهار الدائمة الجريان المتوفرة بها ربما كانت روافد في شبكة مائية ضخمة واسعة متصلة بنهري النيجر والنيل، وكانت النباتات والأشجار التي تنمو المنطقة تكفي لتغذية أضخم الحيوانات البرية فقد تم اكتشاف بقايا عظام حيوان المستدون[(٣)]، في صحراء سرت الحالية[(٤)]، وقد أكدت النقوش والرسوم الصخرية والأدوات الحجرية المكتشفة في الإقليم التي تماثل نظائرها المكتشفة في مناطق أخرى من شمال إفريقيا.

---

(١) خلف الله يس أبو على، "الصحراء الليبية في عصور ما قبل التاريخ"، (مجلة آثار العرب)، العدد الثاني، مارس ١٩٩١، ص ٤.

(٢) حسن الشريف، "حول الأهمية الأثرية والتاريخية للجنوب الصحراوي"، (مجلة آثار العرب)، العدد التاسع والعاشر، الخريف ١٩٩٧، ص ٤.

(٣) المستدون : حيوان ضخم جداً منقرض يشبه الفيل الحالي .. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: عبد الطيف محمود البرغوتي، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، ١٩٧٠، ص ٢٨.

(٤) خلف الله يس أبوعلى، مرجع سابق، ص ٤.

إن الفترات الرئيسية لمرحلة استيطان ما قبل التاريخ بالإقليم تتزامن مع الفترات الزمنية لعصور ما قبل التاريخ في أماكن أخرى من شمال إفريقيا والتي تم تحديد تواريخها من المتخصصين في هذا المجال(١).

ومن خلال دراسة القطع الأثرية الصغيرة المكتشفة في مواقع مختلفة من شمال إفريقيا مثل موقع سيدي عبد الرحمن على الساحل المغربي، موقع عين الحنش بالمرتفعات الجزائرية وأجزاء من جمجمة بشرية من منطقة يايو (*Yayo*) في تشاد، يمكن القول بأن الاستيطان البشري في عصور ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا كان قد بدأ منذ حوالي مليون إلى نصف مليون سنة(٢)، وفي تريبوليتانيا كان أول دليل واسع النطاق على الاستيطان البشري هو عبارة عن أدوات حجرية مصنوعة من حجر الصوان تمثل فؤوساً يدوية مخصصة للاستعمال في كافة الأغراض وهي المعروفة باسم الأدوات الحصوية(٣) (*Pabble Culture*)، وهذه الأدوات تعود إلى مرحلة العصر الأيوليثي (*Eolithic*) وهو دور يسبق أقدم دور من أدوار العصر الحجري ويرجع تاريخه إلى نهاية عصر البليوسين، وقد اكتشف عالم الآثار الإيطالي ماكبرني نماذج من هذه الأدوات بمنطقة بئر دوفان جنوب مصراتة(٤)، ويجدر بالذكر أنه تم اكتشاف نماذج لها في أماكن أخرى من شمال إفريقيا منها موقع عين الحنش بالقرب من قسنطينة بالجزائر، وموقعي الحنك وعرباوه بالمغرب(٥).

إن انتشار هذه الأدوات في عدة مناطق من شمال إفريقيا يؤكد أيضاً أنها صناعة حجرية متميزة ويؤكد الاستقرار البشري الموغل في القدم بالمنطقة.

وتم حديثاً اكتشاف عدد من الأدوات الحصوية المتمثلة في الفؤوس اليدوية على شكل رقائق ثقيلة من الصوان الخشن بالقرب من أحد الحصون بوادي المردوم شرق بني وليد، واكتشفت نماذج منها بوادي قرزة(٦). وساعدت هذه الأدوات على إعطاء صورة واضحة عن المُناخ السائد خلال تلك الفترة المتميز بغزارة الأمطار وانخفاض درجات الحرارة، فقد شهد العصر الجيولوجي الرابع تقلبات مناخية تراوحت بين فترات ممطرة وأخرى جافة، وتكررت هذه الدورات أربع مرات خلال ثلاثة ملايين سنة من العصر الجيولوجي الرابع(٧)، وخلال هذه الدورات الممطرة انتشرت البحيرات المائية الضخمة ونمت الغابات المتوسطية المتكونة من أشجار البطوم والشيح والشعال والعرعار والزيتون والصنوبر، وامتدت حتى بحيرة تشاد، فقد ساعد انخفاض درجات الحرارة وتقلص معدل التبخر على الانتشار المكثف لتلك الأشجار جنوباً(٨)، وساعد ذلك أيضاً على تواجد حيوانات استوائية مثل الفيلة والزراف والتماسيح

---

(1) Barker, G., "Prehistoric Settlement" Farming The Desert, The Unesco Libyan Valleys Archaeological Survey, Unesco Publishing, p. 84.

(٢) جمعة محمد العناق، "لمحة سريعة عن عصور ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا"، (مجلة آثار العرب)، العدد الأول، ١٩٩٠، ص ٤٢.

(3) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 84.

(٤) طه باقر، "عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة"، مجلد ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، مطابع دار الشرق، بيروت ١٩٦٨، ص ١٧.

(٥) رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج ١، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ١٧.

(6) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 84.

(٧) جمعة محمد العناق، مرجع سابق، ص ٤٣ .

(٨) نفسه.

والأسود وفرس النهر ووحيد القرن، وقام الإنسان خلال تلك الفترات بتصويرها ونحتها على الحوائط الجبلية(1) التي مازالت مناظرها شاهداً على ذلك حتى عصرنا الحاضر.

أما عن العصر الحجري القديم بأدواره الثلاث المعروفة(2)، فقد تركز النشاط السكاني فيها على قنص الحيوانات الحيوانات وصيد السمك وجمع الثمار، وتميزت بصناعة الأدوات الحجرية من حجر الصوان حيث انتشرت صناعتها في معظم الشمال الإفريقي(3)، وتم اكتشاف عدد من الأدوات الحجرية التي تعود إلى فترة العصر الحجري الحجري القديم الأوسط في عدة مواقع من إقليم تريبوليتانيا منها على سبيل المثال موقع رأس عامر وموقع وادي غان وسفوح جبل نفوسه، إضافة إلى عدة مواقع أخرى بمنطقة الجبل الأخضر، وعادة ما تنسب هذه الأدوات إلى إنسان نياندرتال(4).

وخلال هذه الفترة عُرف في شمال إفريقيا صناعة متميزة عُرفت باسم الصناعة أو الثقافة العاتيرية(5)، انتشرت هذه الصناعة في أماكن متفرقة من المنطقة خاصة في جبال أطلس والأجزاء الغربية من ليبيا، وبدرجة أقل في مناطق الجبل الأخضر، كما وجدت آثارها في واحات سيوه والداخلة والخارجة(6).

وتميزت هذه بتقنية تشذيب الشظايا، وكان من أهم أدواتها المثاقب والمكاشط ورؤوس السهام الكبيرة(7)، كما امتازت أيضاً بصناعة الأنصال التي زودت بها وتعد هذه طفرة تقنية مهمة، لأنه بإضافة الأنصال إلى الأدوات أمكن تثبيت الأدوات على أيد خشبية أو عظمية(8)، مما ساعد على إتقان العمل وسرعة انجازه، فالصياد الذي يملك يملك رمحاً طويلاً له حظ أوفر في اقتناص الفريسة من صياد يعتمد على سلاح حجري في يديه، وازدادت قوة الدفاع والهجوم باستخدام أسلحة ذات مقابض خشبية طويلة(9) .

---

(1) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 87.

(٢) نظراً لطول الفترة الزمنية التي استغرقتها أدوار العصر الحجري القديم فقد تم تقسيمه من قبل المتخصصين إلى ثلاثة أدوار أسفل، وأوسط، وأعلى، للمزيد حول هذه الأدوار ينظر:

McBurney, G.B.M., The Stone Age of Northern Africa-Penguin Books, Harmondsworth, 1960-1968.

(3) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 87.

(٤) نياندرتال: أحد الأجناس البشرية المنقرضة، عاش خلال الفترة من ٦٠-٤٠ ألف سنة، وقد عثر على هياكل عظمية له في جبل الكرمل بفلسطين وكهف شانيدار بالعراق. للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: جين بوترو وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ص ص ٢٩-٣٠.

(٥) نسبة إلى بئر العاتير الواقع جنوب تونس بحوالي ٧٥ . ٨٠ كيلومتر بالقرب من منطقة تبسا، للمزيد ينظر: رشيد الناضوري، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٦) طه باقر، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٧) فرانسوا بورد، نمطية أدوات العصر الحجري القديم، ترجمة خالد أبوغنيمة، بسام جاموس، منشورات وزارة الثقافة، سورية ٢٠٠٩ ، ص ص ١٣.

(٨) جمعة محمد العناق، "الجبل الأخضر في ما قبل التاريخ"، (مجلة آثار العرب) العدد الرابع، مارس ١٩٩٢، ص ٧.

(٩) نفسه.

أما فترة العصر الحجري الأوسط فتمثل مرحلة انتقالية بين أدوار العصر الحجري القديم بأدواره الثلاث ومرحلة العصر الحجري الحديث، وتميزت باختفاء جنس نياندرتال، وبتطور الفكر الإنساني وظهور الإنسان الحالي.

كما أنها تعد من أهم مراحل التطور الحضاري باعتبارها تمثل خلاصة التجارب الإنسانية المختلفة(١)، وتميزت هذه الفترة أيضاً بظهور صناعة الأسلحة الميكروليثية، فكانت الحاجة ماسة لصناعة أسلحة دقيقة تؤدى أغراض الإنسان المختلفة بسرعة وسهولة، وتعتمد تقنية هذه الصناعة على لب الحجر، وتميزت بصغر حجمها وبأشكالها المستطيلة والبيضاوية والمسطحة(٢)، وتعد منطقة الجبل الأخضر من أهم المناطق التي اكتشفت فيها أدوات حجرية حجرية تعود إلى هذه الفترة، ومن أهم مواقعها كهف حقفة الطيرة جنوب بنغازي بحوالي ١٥ كم، وكهف حقفة الضبعة بالمرتفعات الوسطي من الجبل الأخضر، وكهف هوافطيح بالقرب من سوسة.

وأما في إقليم تريبوليتانيا فقد أمكن من تحديد تاريخ الأدوات الحجرية التي تعود إلى فترة العصر الحجري الأوسط في حوالي ٨٠,٠٠٠ ٦٠,٠٠٠سنة ق.م، ويعد الموقع المكتشف بوادي غان على الجانب الشمالي من الجبل الغربي من أهم المواقع المكتشفة فيها، إلى جانب موقع أخر بمنطقة عين ويف بترهونة، وموقع بوادي المردوم، كما تم اكتشاف مجموعة من الأدوات تعود إلى نفس الفترة بالقرب من الحصن الروماني جولايا في أبو نجيم (في الموقع المعروف محلياً باسم جبل مرجيب)(٣)، كما اكتشفت العديد من الأدوات الحجرية في المنطقة المحيطة بحصن جولايا خاصة في المنطقة الجنوبية الشرقية حيث تنتشر في مساحة تقدر بحوالي كيلو متر واحد تقريباً، وتتمثل في الحراب والمثاقب وبعض الأسلحة المسننة، والجدير بالملاحظة أنها تتشابه مع الأدوات المكتشفة بمنطقة أبيار مجي(٤).

أما في المنطقة شبه الصحراوية فقد تم اكتشاف العديد من الأدوات التي تعود إلى هذه الفترة في عدة مواقع منها مواقع في وادي غبين على الجانب الشمالي من وادي سوف الجين، وفي أودية أم الخراب ونفذ وقرزة(٥).

واكتشفت في منطقة الجبل الغربي مجموعة أخرى من هذه الأدوات وذلك على طول الحافة الجنوبية لحوض مزده، وفي وادي الطابونية(٦).

وأما مرحلة العصر الحجري الحديث فتعد من أهم المراحل الحضارية الإنسانية لأنها تمثل نقلة مهمة في تاريخ البشرية حيث انتقل فيها الإنسان من مرحلة الجمع والالتقاط للقوت وعدم الاستقرار إلى مرحلة إنتاج الطعام وتدجين

---

(١) رشيد الناضوري، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) طه باقر، مرجع سابق، ص ٣٣.

(3) Rebuffat, R., Occupation Ancienne Du Couloir de Bu Njem 1968, L. A., Vol. VI – V II ,1969–1970, 1970, P. 31.

(4) Souville, G., L 'Industrieprehistori Querecueillie a' Bu Njem, 1967–1968, L.A., Vol. 4- 5, pp. 170–171.

(5) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 87.

(٦) وادي الطابونية أحد الروافد العليا التي تصب في وادي زمزم ويعتبر من أهم المواقع الأثرية الغنية بالأدوات الحجرية التي تعود إلى العصرين الحجرين الأوسط والحديث.

الحيوان والاستقرار الفكري والمادى[1]، حيث استقر الإنسان في قرى محددة، وتكونت بالتالي أولى القرى الزراعية التي تطورت فيما بعد إلى مدن.

ولعل من أهم الإنجازات الحضارية التي توصل إليها الإنسان في هذه المرحلة استخدام الفخار وصنع الأواني الفخارية حيث تم العثور على قطع فخارية في بعض المواقع بجبال أكاكوس وكذلك في كهف هوافطيح[2]، ويؤكد بعض الباحثين استناداً إلى دراسات حديثة أُجريت في بعض المناطق من الصحراء الكبرى أن الجنوب الصحراوي يعد من أقدم المناطق التي تم التوصل فيها إلى معرفة الزراعة، ففي منطقة أمكيني بجبال الهجار تم اكتشاف حبوب لقاح للذرة البيضاء، واستناداً إلى طريقة كربون ١٤ المشع تم تحديد تأريخها بالألف السابع ق.م، وأكدت هذه النتيجة دراسات أخرى أُجريت بمنطقة أكاكوس[3].

ومن جانب أخر فقد حدث تطور كبير في صناعة الأدوات الحجرية فظهرت رؤوس السهام الحجرية، واستخدم القوس في صيد الحيوانات[4]، وبينت الدراسات الحديثة التي أُجريت على نماذج من هذه الأدوات أنها صُنعت من الحجر الجيري وحجر الصوان المتوفران بالمنطقة[5].

ويبدو أن عملية التحول إلى الزراعة قد تمت تدريجياً فكان يتم تربية الحيوانات إلى جانب ممارسة الصيد والقنص[6]، ومن المعتقد أن الأغنام كانت من أولى الحيوانات التي تم استأنسها، وانتشرت عملية التدجين وتربية الحيوانات على طول الأطراف الشمالية والجنوبية للإقليم بوصفها مظهراً من مظاهر المكانة والرفعة الاجتماعية وسلعاً للتبادل التجاري بين السكان الذين كانت تربط بينهم علاقات تجارية[7].

ومن خلال توزيع المواقع الأثرية في منطقة ما دون الصحراء اتضح أن السكان قد استقروا في نقاط بارزة تطل على مجاري الأودية وذلك في فترات مؤقتة من السنة، مما يؤكد أنهم كانوا يقومون بغزوات متتالية على المنطقة، وأنهم يفدون إليها من منطقة سهل جفارة ومنطقة الجبل الغربي[8].

وعلى الرغم من غياب الدليل المادي من عظام الحيوانات فإن الأدوات الحجرية السطحية المكتشفة في عدة مواقع من إقليم تريبوليتانيا تؤكد أن مستوطنات العصر الحجري الحديث قد بدأت في الانتقال التدريجي لحرفة الرعي، كما يؤكد هذا اكتشاف العديد من بقايا الفخار وإن كان معظمه يتصف بالخشونة، إلا أن بعضه كان مزخرفاً بزخارف بسيطة[9]. ومن المعتقد أن سكان الإقليم يمثلون ثقافة واحدة وذلك نظراً للتشابه الكبير بين الأدوات الحجرية

---

(١) رشيد الناضورى، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(٣) حسن الشريف، مرجع سابق، ص ١٤.

(4) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 90.

(٥) طه باقر، مرجع سابق، ص ٣٩.

(6) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 90.

(7) Ibid, p. 96.

(8) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., pp. 91-94.

(9) Ibid, p. 97.

الحجرية الصوانية المكتشفة في منطقة أبونجيم والأدوات المكتشفة في أجزاء مختلفة من منطقة ما دون الصحراء مثل وادي أم الخراب، ووادي نفذ، وكذلك في حوض مزده، ووادي الطابونية(١)،مما يؤكد على وحدة العنصر والجنس والثقافة لسكان هذه المواقع.

ولعل أهم مميزات فترة العصور الحجرية هو النقوش والرسوم الصخرية فقد أمكن التعرف على مئات المناطق التي تنتشر فيها هذه الرسومات في شكل حزام عريض يمتد من الشرق إلى الغرب من نهر النيل إلى المحيط الأطلسي ومن المغرب إلى أثيوبيا(٢)، فخلال الفترة الممتدة ما بين أربعة الألف سنة ماضية جفت المجاري المائية كبيرها وصغيرها التي كانت تروى المناطق القاحلة اليوم، فاضطر سكانها للهجرة، وانقرضت الحياة النباتية والحيوانية التي كانت سائدة(٣)، وساد الصمت ودفنت الرمال كل أثر لهؤلاء السكان ما عدا أثر واحداً بقي يقاوم عاديات الزمن هو الصور الرائعة التي نُحتت أو رُسمت فوق الحوائط الصخرية، هذه الصور التي يمكن من خلالها العودة إلى الماضي ومحاولة إعادة تلك الحياة وطبيعتها، واستنباط عادات السكان وطرق عيشهم، وأسلحتهم المستخدمة في الصيد والحروب، وطقوسهم وعباداتهم الدينية وعاداتهم وممارساتهم السحرية، ومعرفة جوانب من حياتهم اليومية، وشعائرهم الجنائزية، والتعرف على الحيوانات التي عاشت معهم خلال فترات طويلة من الزمن.

بدأ اكتشاف هذه الصور والنقوش مع منتصف القرن الماضي عن طريق بعض الرحالة الأوربيين، ثم توالت الرحلات العلمية المنظمة لدراستها وتحليلها(٤)، وقد أختلف الباحثون حول تحديد تاريخ دقيق لهذه الرسوم ولكن يتفق يتفق أغلب الباحثين على تقسيمها إلي خمسة أدوار رئيسية وذلك استناداً على دراسة الحفريات الأثرية التي أجريت في عدد من المواقع، وكذلك على دراسة التنوع الأسلوبي والفني والذي أكدته الأدلة التاريخية والأثرية، وهي على النحو التالي(٥):

الدور الأول: يمثل معظمه نقوش منحوتة تصور حيوانات كاملة لحيوانات ضخمة تحتاج إلى مصادر دائمة من المياه والأعشاب مثل الفيلة والجاموس والتماسيح وفرس النهر والزراف والأسود، وكلها حيوانات تعيش في منطقة مراعى السافانا، وبالتالي تشير إلى أن المنطقة كانت غزيرة الأمطار .

الدور الثاني: ويمثل معظمه رسوم ملونة وتصور رجالاً ذوى رؤوس مستديرة ولهذا أطلق على هذا الدور فترة الرؤوس المستديرة، وينقسم إلى مرحلتين هما:

---

(1) Ibid, p. 98.

(٢) محمد مصطفي بازامه، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٠٤.

(3) MORI, F., "Prehistoric Saharan Art Aad Cultures In The Light of Discoveries In The Acacus Massif" Libya In History, Historical Conference, P. 32.

(٤) يعتبر الرحالة الألماني هنري بارت (١٨٥٠) من أوائل من كتب عن هذه الرسومات، ثم تلاه الرحالة الفرنسي دوفيريه (١٨٦٤) والرحالة العربي أحمد حسنين، وأما الدراسات المنظمة فأولها هى التي قام بها فلامنت (١٩٢١)، وموري (١٩٦٥) ولا زالت البعثات الأثرية الأجنبية تواصل دراستها والخروج بنتائج جديدة تفيد البحث العلمي حتى الآن للمزيد ينظر:
Mori, F., op. cit., pp. 31-72.

(5) Barker, G. W., "PrehistoricRock Carvings in the Tripolitanian pre–desert, L.S., Vol. 17, 1986, pp. 71–71–72.

١. مرحلة البداية: وفيها استخدم الفنان في تلوين رسوماته لوناً واحداً لتحديد ملامحها الخارجية، ثم قام بطلاء باقي المنظر بلون آخر غالباً ما يكون الأصفر أو الأخضر أو الأحمر .

٢ . مرحلة النهاية: وهنا استخدم الفنان ألواناً مركبة، وتميزت الأشكال البشرية المصورة بأنها ذات ملامح زنجية.

الدور الثالث: دور الرعاة وهى تمثل خليط من الرسومات الملونة، وقام الفنان برسم أشكال الحيوانات وخاصة الماشية (المفضلة لديه في هذا الدور) بأحجام صغيرة، كما تميز برسم مشاهد من الحياة اليومية مثل عمليات الصيد وجمع الحيوانات والأنشطة الاجتماعية المختلفة داخل المخيمات السكنية.

الدور الرابع: دور الحصان صورت مشاهد للخيول ويغلب على اللوحات الوضوح والطابع البشري ومناظر الصيد.

الدور الخامس: تعود إلى فترة متأخرة وتظهر فيها رسومات الجمال بصور ملونة بأشكال طبيعية، وأما المناظر البشرية فقد نفذها الفنان بأسلوب هندسي.

باستخدام كربون (١٤) المشع اتضح أن الصور والمشاهد التي تمثل الحيوانات الضخمة العائدة إلى الدور الأول تنتمي إلى مرحلة العصر الحجري القديم بأدواره الثلاث (*pala eolithic*) والعصر الحجري الوسيط[١] (*Mesolithic*).

أما الدور الثاني والذي يمثل مرحلة الرؤوس المستديرة تعود إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م، والدور الثالث الذي يمثل مرحلة الرعاة فيعود إلى ٣٠٠٠ سنة ق.م، أما الدورين الرابع والخامس فهناك اتفاق على أنهما يعودان إلى ١٥٠٠ سنة ق.م[٢].

وصاحب تكاثر أعداد الحيوانات والنباتات والأسماك خلال عصر الهولوسين المبكر (*Holocene*) زيادة عدد الصيادين الذين استخدموا الأدوات الحجرية المصنوعة من حجر الصوان، وعلى الرغم من أن ممارسة رعى الماشية قد بدأ في الألف الخامس ق.م وازدادت أهمية الأغنام والماعز استجابة مع زيادة حالات الجفاف، إلا أن عمليات الصيد وجمع الثمار استمرت جنباً إلى جنب مع ممارسة الرعي وذلك بناءً على الأدلة المأخوذة من المعلومات البيولوجية من المواقع التي اكتشفت والقطع الأثرية المكتشفة فيها[٣].

وقد اختلف الباحثون حول تفسير هذه الرسومات والنقوش فيرى البعض أن لها صلة بالشعائر الدينية وبالطقوس السحرية[٤]، فعندما يقوم الفنان برسم الحيوان المرغوب في صيده فإن ذلك يعطيه قوة روحية تساعده في إتمام عملية الصيد بنجاح أو أنها تمثل جانباً ترويحياً عند الصياد الذي لم يوفق في عملية الصيد، بينما يرى البعض الآخر أن هذه المناظر ما هي إلا وسائط رمزية بين البشر وعالم الأرواح[٥].

---

(1) Mori, F., op. cit., pp. 31-32.

(2) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 97.

(3) Barker, G. W., "PrehistoricRock Carvings in the Tripolitanian pre – desert", op. cit., p. 73.

(٤) موري، تادارات أكاكوس، مرجع سابق، ص ٣٩؛ حسن الشريف، مرجع سابق، ص ١٥.

(٥) سعد الخادم، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، سلسلة الألف كتاب رقم ٤٨٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ٨؛ جيمس فريز، الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين)، ترجمة بإشراف: أحمد أبو زيد، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١، ص ١٠٤-١٠٨.

وربما تدل على التحول التدريجي نحو مهنة الرعي عند سكان مجتمعات الصحراء(1)، وقد تكون تعبيراً عن البيئة التي يعيش فيها الفنان، فالفن ينمو في أي مكان وتحت كل الظروف وفي أوقات الحزن أو الفرح، وخلال شظف العيش ورفاهيته(2).

ويتضح من هذه الآراء أن الإنسان بدأ خلال هذه المرحلة من تاريخه في التعبير عن أفكاره ومفاهيمه الاقتصادية والدينية من خلال هذه الرسومات والنقوش التي تشير إلي تقدم قدرات الإنسان التعبيرية، كما يجب ألا نغفل جانب الغاية السحرية لها فالإنسان ما زال يبحث عن الآمان والاطمئنان ويطلب الانتصار على القوى الشريرة الضارة بحياته ومستقبله(3)، ومن جانب أخر فإن بعض النقوش والرسومات لها مغزى ديني فالثور الذي يحمل بين قرنيه شكل بيضاوي أو دائري لا بد أن يكون له صلة بالمعتقد الديني السائد في الفترات التاريخية اللاحقة خاصة فيما يتعلق بعبادة الإله الليبي جورزيل (*Gurzil*) الذي من المعتقد أن تكون مستوطنة قرزة مركزاً لعبادته، وفي هذا الجانب يذكر المؤرخ هيرودوتوس أن الليبيين كانوا يقدمون القرابين من الماشية للشمس والقمر(4)، إلى جانب ذلك فقد تم تصوير العديد من المشاهد والمناظر على لوحات تاسيلي وغيرها من مناطق الجنوب تمثل بشراً يقفزون فوق الماشية، وصور أخرى تظهر طقوس وضع الأيدي على الحيوانات، كما أن النقوش التي تصور جنباً إلى جنب أبقاراً ونساء يلدن تفيد في التأكيد على العلاقة الوثيقة بين الرعاة والماشية والأغنام التي يعتمدون عليها(5).

إن التعرف على الأعمال الفنية لا يتم إلا بدراستها ودراسة البقايا الأثرية للشعوب التي أبدعتها مثل أماكن الاستقرار والأدوات التي صنعتها والبيانات المتعلقة بالعيش والبقاء وبيانات عن البيئة التي عاشوا فيها والأدلة الخاصة عن الحياة الاجتماعية، ويعتقد أن المجتمعات القديمة كانت ترمز لهويتها الغريزية من خلال الأعمال الفنية النحتية، فعملية الاستقرار واستعمار المنطقة تم تغير طرق العيش في بيئة متزايدة في عدوانيتها نتيجة للظروف المناخية غير المتوقعة التي حدثت والتي كانت مختلفة تماماً عن ما تم تصويره في فن النحت(6).

كما أكدت النماذج النباتية المكتشفة في تدرارت أكاكوس استمرار عملية الصيد والقنص خلال فترة الرعاة، نظراً لأهمية الماشية من خلال الاستفادة منها كمصدر للبن والصوف والجلود، وكان الحصول على اللحم يتم عن طريق الصيد(7).

---

(1) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 97.

(2) خلف الله يس أبوعلى، مرجع سابق، ص ٧.

(3) رشيد الناضوري، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(4) Herodous, 4, 188.

(5) Barker, G., " Prehistoric Settlement", op. cit., p. 102.

(6) Barker, G.W., "PrehistoricRock Carvings in the Tripolitanian pre-desert", op. cit., p. 73.

(7) Ibid, p. 102.

وقد تم اكتشاف العديد من النماذج للفن الصخري في منطقة ما دون الصحراء وتعد مواقع ودي الخيل[١]، وميه الذيب[٢]، من أهم المواقع الأثرية المكتشفة بالمنطقة، حيث يتمثل موقع ودي الخيل في مجموعة من المغارات على امتداد الضفة الشمالية لمجرى الوادي الرئيسي وهي تزدان بمجموعة من الرسوم والنقوش الصخرية التي تعود إلى فترات متنوعة من العصور الحجرية، وتم تقسيمها إلى أربعة أدوار[٣]، فالدور الأول يتميز بالرسوم الجميلة التي تمثل حيوانات برية مثل الفيلة والنعام والأسود والزراف[٤]، وأخرى مستأنسة مثل الثيران، نحتت بطريقة النحت الغائر، ونفذت بأسلوب يحاكى الطبيعة على هيئة صفوف تشبه الإفريز الممتد على واجهة الصخور، وقد أطلق عليها فترة الرعاة المبكرة وحدد تاريخها خلال فترة الألف الثانية قبل الميلاد، أما الدور الثاني فتمثله نقوش الثيران والظباء، غير أنها نفذت بأسلوب فني أقل جودة من الدور الأول فاتصفت هذه النقوش بخشونة الأسلوب وعدم الدقة في التنفيذ، وتمثل رسومات الخيول الدور الثالث، وأخيراً الدور الرابع ويتمثل في رسومات الجمال والذي حددت بداياته مع مطلع القرن الأول من ميلاد السيد المسيح[٥].

ومن الملاحظ وجود تشابه كبير بين هذه الأدوار والأدوار التي صنفت عليها النقوش والرسوم الصخرية في مناطق الجنوب الصحراوي خاصة في أكاكوس، وهذا إن دل على شئ فهو يدل على الوحدة الحضارية والثقافية لسكان الشمال والجنوب الليبي مما يؤكد عراقة هؤلاء السكان ودورهم الحضاري المميز في المسيرة الحضارية للبشرية.

أما النقوش والرسوم المكتشفة في موقع ميه الذيب فتعد من أهم النماذج المكتشفة في منطقة ما دون الصحراء، وأغلب النماذج استخدم في تنفيذها أسلوب الحفر الغائر مثل الأبقار والثيران ووحيد القرن، ومن أهم المناظر المنفذة يوجد نقشاً لثور يحمل بين قرنيه قرصاً أو شكلاً بيضاوياً[٦].

ومن المعتقد أن لذلك مضامين دينية وذلك لوجود ارتباط بين عبادة الشمس وعبادة الإله آمون، ويفسر بعض الباحثين شكل القرص على رأس الثور بنفس الطريقة التي يمثلها الثور الذي يحمل قرص الشمس في الديانة المصرية القديمة[٧]، وذلك استناداً لما أورده المؤرخ هيرودوتوس عن طريقة تقديم القرابين عند الليبيين القدماء الذين يقدمون القرابين للشمس والقمر فيقطعون آذن القربان ويلقون بها فوق المنزل قبل قطع العنق[٨].

---

(١) ودي الخيل يقع على بعد ٨٠ كم تقريباً في الاتجاه الجنوبي من الحمادة الحمراء.

(٢) ميه الذيب يقع على بعد ٥٠ كيلومتراً جنوب منطقة مزده.

(٣) باولو غراتسيوزى، "نقوش ودى الخيل الصخرية"، ترجمة: عيسي سالم الأسود، (مجلة ليبيا القديمة)، المجلد الخامس، ١٩٦٨، ص ٢٢.

(4) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 99.

(٥) باولو غراتسيوزي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(6) Barker, G., "Prehistoric Settlement", op. cit., p. 99.

(7) Mattingly, D. J., The are of The Unexpected: Ghirza in the Libyan pre–desert, Text of alecture delivered at the British Ambssador 's Residedence, Tripoli, pp . 8–9.

(8) Herodotus, 4. 188.

كما أن الإله الليبي جورزيل (*Gurzil*) يمثل في صورة ثور يحمل فوق رأسه قرص الشمس(١). وعلى بعد ١٤٠ كيلومتراً تقريباً تقع مستوطنة قرزة التي من المحتمل أن تكون مركزاً لعبادة الإله جورزيل.

وفي منطقة طبقة(٢) (*Tobga*) على بعد ٣٠ كيلو متراً شمال غرب القريات الغربية وجدت نقوشاً محفورة على جدران كهف صغير تمثل صوراً مرسومة لأبقار وماشية ووحيد القرن، وعلى أرضية الكهف توجد مجموعة من الحفر شبه كروية تتشابه إلى حد كبير مع الحفر المعروفة في لعبة (السيزة) اللعبة الشعبية المعروفة في مناطق متعددة من ليبيا الآن، وعلى الصخرة الرئيسية يوجد نقش عميق لحيوانات تشبه في تصميمها وحيد القرن أو بقرة وحشية، وتتشابه مع مثيلتها المكتشفة في موقع ميه الذيب، وعلى الجهة اليمني يوجد نقش لرجلين ذوي رؤوس مستديرة تشبه النماذج المكتشفة في منطقة أكاكوس، وإلى اليمين أيضاً وأسفل الصخرة نقش لحيوان ذو أربع أرجل ربما يمثل بقرة وحشية، كما وجدت نقوش أخرى لحيوان بأربعة أرجل له قرون متجهه للخلف ربما تمثل نوع من البقر أو غزال، ونقش أخر لزرافة، وعلى صخرة منفردة أمام الكهف توجد سلسلة من الأشكال غير واضحة تبدو كالعصي الصغيرة ربما تمثل صور لحيوانات ذات أربعة أرجل أو أنها تمثل أشجار النخيل أو أنها تمثل أشكالاً بشرية نفذت بشكل هندسي.

ومن الممكن تقسيم الحيوانات التي ظهرت في المشاهد السابقة الذكر إلى نوعين حيوانات صيد التي تمثل المرحلة المبكرة من تاريخ هذه النقوش، وحيوانات مستأنسة وهى تمثل مرحلة تالية بعد معرفة الإنسان للزراعة والرعي وبمعنى أخر معرفة حياة الاستقرار والتي تعادل مرحلة العصر الحجري الحديث .

وباستثناء نقوش العصي الصغيرة فإن النقوش في مجملها نفذت بأسلوب فني متجانس، فيلاحظ أن الخط التحديدى لكل المناظر نفذ بطريقة جيدة، كما أن الأسلوب الفني الذي نفذت به نقوش طبقة أكثر حيوية من غيرها من الأعمال المشابهة.

ولا توجد مشاهد كبيرة تمثل أفكار معينة واضحة مثل حالة مناظر العصي بطبقة، كما وجدت رسوم متتابعة لشكل واحد فوق بعضها، كما يلاحظ وجود ارتباط فني بين المناظر الموجودة بهذه المناطق الثلاث مع بعض المواقع الأخرى فنجد الخط الذي يحيط بالأشكال في موقع ميه الذيب والماشية المزدوجة، والشكلان البشريان المتطابقان في طبقة والنعامتين والبيضتين المتوقعتين في ودي الخيل، فهذه المناظر نجدها متشابهة في أسلوبها الفني مع النقوش التصويرية التي تعود إلى الفترة الأخيرة من عصر ما قبل التاريخ في منطقة أكاكوس.

ويبدو أن المنطقة الساحلية كانت المكان المفضل للاستقرار أولاً ثم تأتي المنطقة الواقعة خلف الساحل في الدواخل مثل السهل المطل على الصحراء وذلك بسبب التأثيرات الناجمة عن ازدياد حالة الجفاف منذ الألف الرابع والثالث والثاني قبل الميلاد(٣). وقد ارتبطت الأعمال الفنية النحتية مع الأدلة الحجرية المتمثلة في الأدوات التي عثر عليها في الأودية خاصةً في الجنوب الغربي من سهل جفارة حيث يلتقي مع الحمادة الحمراء، فالمنظر الطبيعي لهذه المنطقة تسوده التعرجات وتنتشر به بعض الواحات المنعزلة التي تختلف عن المنطقة المطلة على

---

(1) Corippus, 4. 666.

(٢) دراسة ميدانية أجراها الباحث.

(3) Barker, G.W., "Prehistoric Rock Carvings in the Tripolitanian pre–desert", op. cit., p. 73.

الصحراء، والمورد الرئيسي للماء يأتي من الأحواض المائية التي تتجمع فيها مياه الأمطار شتاءاً، كما تمثل المنطقة الممتدة بين مزدة وغريان الطريق الطبيعي المستعمل من قبل الرعاة في فصل الشتاء للانتقال إلى أطراف الصحراء، وحركة قطعان الماشية والرعاة تمثل استجابة للرحلات الموسمية بالنسبة للصيادين وجامعي الطعام في عصور ما قبل التاريخ، فمناطق النقوش ربما تمثل أماكن استقرار مهمة لهؤلاء الرعاة في كل موسم(١). وربما تدل مجموعة النقوش التصويرية على استقرار مجموعة معينة من السكان لأن مواقعها تقع قرب مصادر المياه والواحات.

ونتيجة للدراسات المقارنة التي أجريت حديثاً والبيانات التي تم تجميعها من مخلفات فترة العصر الحجري الحديث في منطقة ما دون الصحراء خاصة ما اكتشف من نماذج من الفخار في منطقة الجبل الغربي ومنطقة ما دون الصحراء، والتقنيات الحجرية المستخدمة في المنطقتين يتضح أن المنطقة تم استغلالها والاستقرار فيها من قبل شعب واحد له نفس الخصائص الفنية والعرقية والثقافية، ولهم دورهم المميز في مسيرة الحضارة، حيث بقيت تأثيراتهم الحضارية خاصة فيما يتعلق (بالجوانب الفكرية والعقائدية والاجتماعية) فترات طويلة جداً من الزمن تنبض بالحياة وتؤثر في غيرها من الحضارات الإنسانية سواء كانت فرعونية أم إغريقية أم فينيقية أم رومانية.

النتائج:

- إن الأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في المواقع الليبية تمثل جميع مراحل العصور الحجرية .
- إن منطقة الجنوب الليبي من أقدم المراكز الحضارية التي تم التوصل فيها إلى معرفة الزراعة .
- وحدة العنصر البشري الذي استوطن في تريبوليتانيا يحمل نفس الخصائص الفنية والعرقية والثقافية .
- التشابه الكبير بين المراحل التي مر بها فن النقش والرسم الصخري في المنطقة الجنوبية والشمالية في ليبيا .

د . محمد على أبوشحمة

قسم السياحة الآثار – كلية الآداب – جامعة مصراتة . ليبيا

(1) Barker, G.W., "Prehistoric Rock Carvings in the Tripolitanian pre–desert", op. cit ., p. 83-84.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

Corippius, Johannis.

Herodottus, Historiae.

ثانياً: المراجع العربية:

ياولو غراتسيوزي، "نقوش ودي الخيل الصخرية"، ترجمة: عيسي سالم الأسود، (مجلة ليبيا القديمة)، المجلد الخامس ١٩٦٨.

جمعة محمد العناق، "لمحة سريعة عن عصور ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا"، (مجلة آثار العرب)، العدد الأول، ١٩٩٠.

جمعة محمد العناق، "الجبل الأخضر في ما قبل التاريخ"، (مجلة آثار العرب) العدد الرابع، مارس ١٩٩٢.

جيمس فريز، الغصن الذهبى (دراسة في السحر والدين)، ترجمة: بإشراف أحمد أبو زيد، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧١.

جين بوترو وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

حسن الشريف، "حول الأهمية الأثرية والتاريخية للجنوب الصحراوي"، (مجلة آثار العرب)، العدد التاسع والعاشر، الخريف ١٩٩٧.

خلف الله يس أبو على، "الصحراء الليبية في عصور ما قبل التاريخ"، (مجلة آثار العرب)، العدد الثاني، مارس ١٩٩١.

طه باقر، "عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة"، مجلد ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية، مطابع دار الشرق، بيروت ١٩٦٨.

رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج ١، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١.

سعد الخادم، الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، سلسلة الألف كتاب رقم ٤٨٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

عبد الطيف محمود البرغوتي، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، ١٩٧٠.

عزالدين أحمد الفقى، الفن الصخري في عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الشمالية من ليبيا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا، ٢٠٠٩ م.

فرانسوا بورد، نمطية أدوات العصر الحجري القديم، ترجمة: خالد أبوغنيمة، بسام جاموس، منشورات وزارة الثقافة، سورية ٢٠٠٩.

محمد مصطفي بازامه، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

Barker, G.W., "PrehistoricRock Carvings in the Tripolitanian pre–desert, L.S., vol. 17, 1986.

Barker, G.W., "Prehistoric Settlement" Farming The Desert, The Unesco Libyan Valleys Archaeological Survey, Unesco Publishing, 1995.

Mattingly, D.J., The are of The Unexpected: Ghirza in the Libyan pre–desert, Text of alecture delivered at the British Ambssador's Residedence, Tripoli.

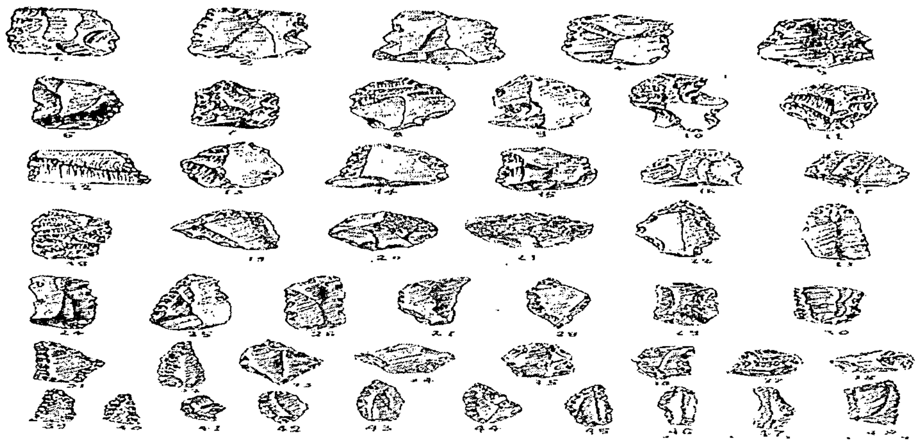
Mc Burney, G.B.M., The Stone Age of Northern Africa–Penguin Books, Harmonds-worth, 1960–1968.

MORI, F., "Prehistoric Saharan Art Aad Cultures In The Light of Discoveries In The Acacus Massif" Libya In History, Historical Conference.

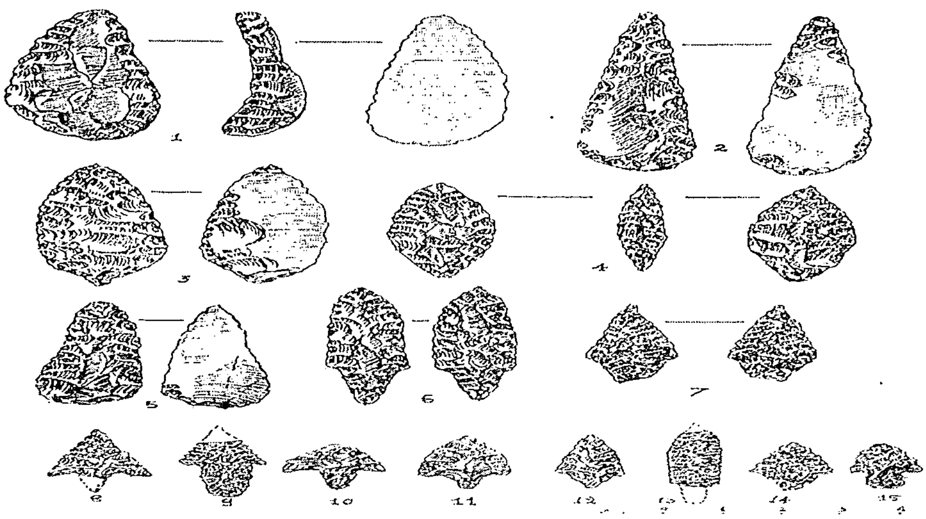
Rebuffat, R., Occupation Ancienne Du Couloir de Bu Njem 1968, L.A., vol. VI–V II 1969–1970.

Souville, G., L' IndustrieprehistoriQuerecueillie a' Bu Njem, 1967–1968, L.A., Vol. 4-5, 1968.

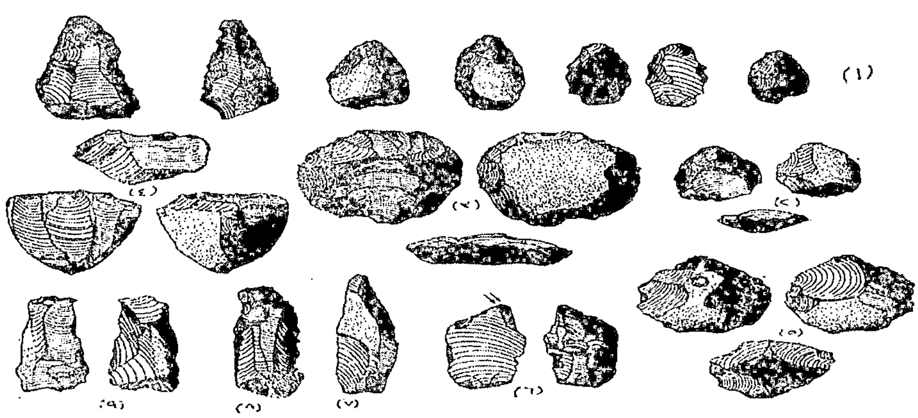
الصور



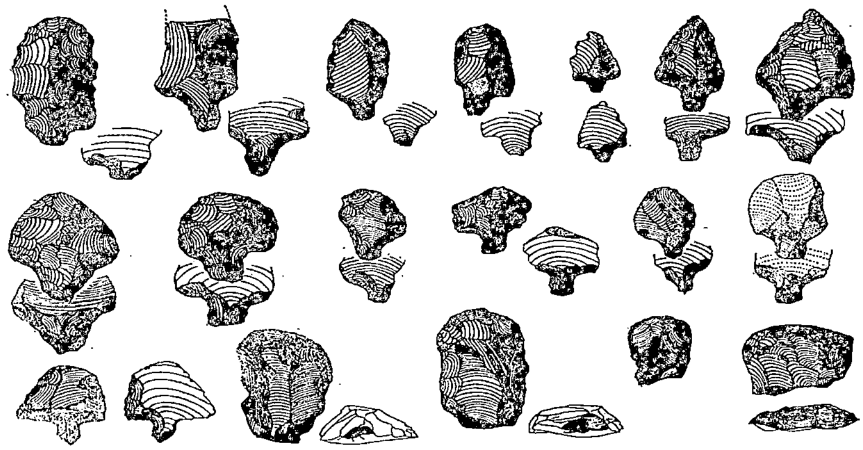
أدوات حجرية من منطقة جبل غريان



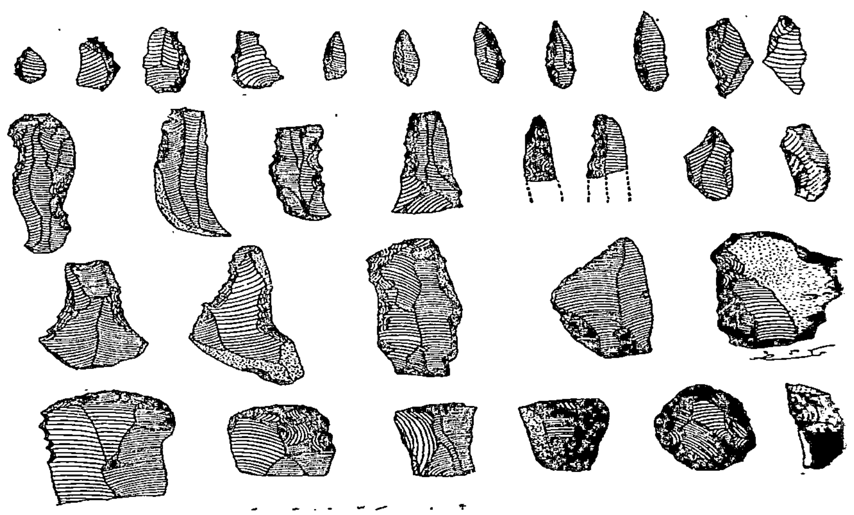
آلات حجرية من العصر الحديث



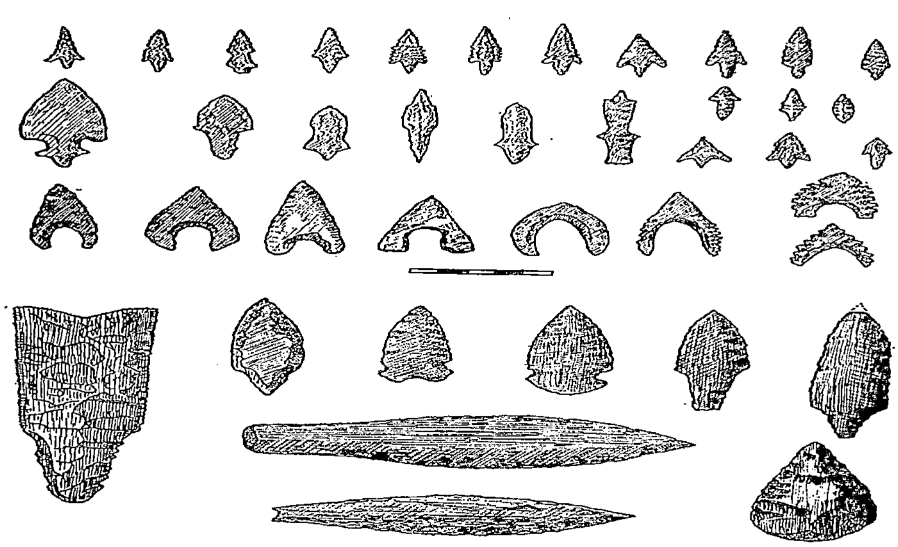
وادي غان ١: ٦ أدوات مدببة الرؤوس، ٤ و ٥ كتل لعمال النصال، ٢ و ٣ كتل على شكل السلحفاء، ٧ و ٨ نصلان، ٩ منقاشان



أدوات حجرية متنوعة



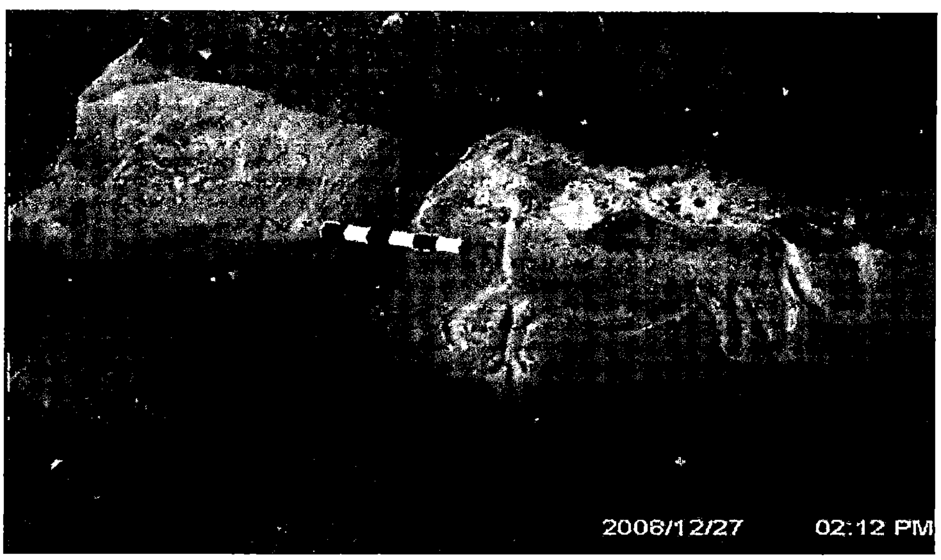
أدوات تكون نهاياتها مكاشط (٢٠) (وادي غان :نصال وشظايا



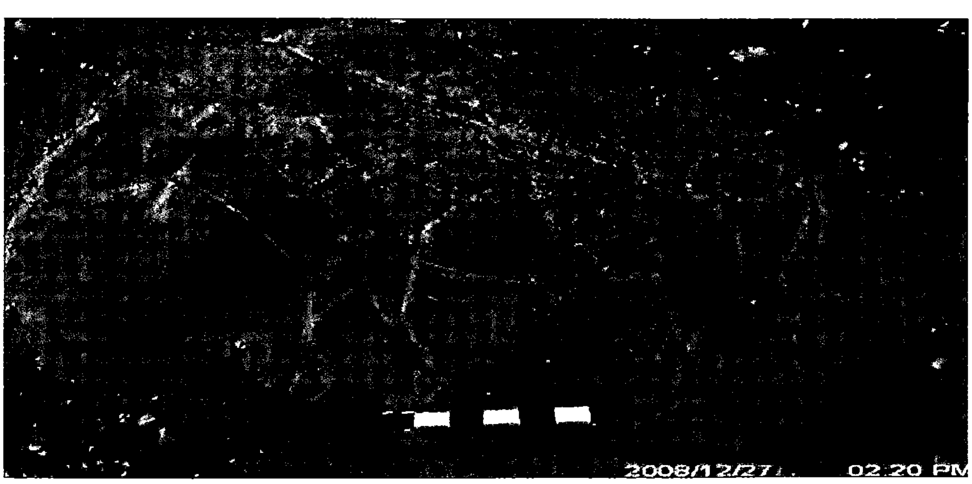
(٢١) رؤوس سهام وأسنة رماح ليبية من مخلفات العصر الحجري الحديث



لوحة وحيد القرن (موقع سيدي الغريب -ترهونة)



لوحة السبعيات(موقع سيدي الغريب -ترهونة)



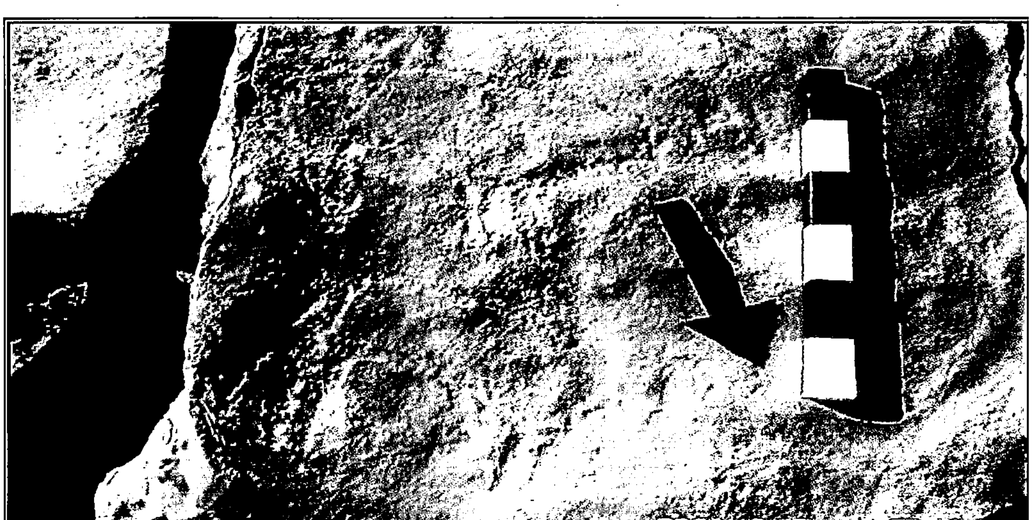
لوحة الثور (موقع سيدي الغريب – ترهونة)



لوحة الصياد (موقع إبيار مجي – ترهونة)



لوحة الغزال (موقع إبيار مجي – ترهونة)



منظر رعوي (موقع قرية تفلقلت – درج)



منظر رعوي (موقع ودي الخيل - مزدة)



لوحة الآيل (موقع ودي الخيل - مزدة)



لوحة النعامة (موقع ودي الخيل - مزدة)